هديّة المُقل

أثر مصطفى الخزومي العضو في مجلس المعارف الكبير بدار الخلافة العليّة

طبع في المطبعة العلمية في بيروت (سنة ١٩٠٨ ص ٥٥)

هذه فصول متفرّقة صنّفها صاحب السعادة مصطفى بك الخزومي ثمّ جمعها في كتاب واحد. وهي خمسة عشر فصلًا افتتحها بكلام اجمالي في الصحة وشروطها واردفها بفصل في المسكرات ثمّ في القهوة ثمّ في بعض الشؤون البيتيّة والاجتماعيـة الى ان ختمها بفصلين احدهما في اطباء السرّ والآخر في الاعتدال. فنهنئ حضرة الكاتب بعمله ونطلب الى الله ان يجازيهُ عن تعبه ل. ش

شذرات

معاهد بغداد العمومية عند سقوطها الاول — كتب الينا حضرة مراسلنا البغداديّ الاب انستاس الكرملي هذه الرسالة التي نرويها بحرفها الواحد:

«كثيرًا ما بحثتُ في كتب التواريخ عن احصاء يذكر معاهد بغداد في عهد اوجها او قبل سقوطها فلم اظفر الّا بشيء قليل منها وفيه من الغلوّ الفاحش مـا يدفع المرء الى ان يرتاب في صحة ما يقرأ. وفي هذه الايام اشتريت كتابًا تاريخيًّا اسمـهُ «الدرُّ المكنون في المآثر الماضية من القرون» لمؤلفه ياسين العمريّ الموصليّ الحنفيّ. وتنتهي وقائعهُ التاريخية سنـة ١٢١٨ هـ (=١٨٠٣–١٨٠٤ م) وفي آخره يقول: «انتهى ما اردنا من جمعهِ نهار الاحد رابع وعشرين من جمادى الاولى على يد جامعهِ الفقير ياسين العمري بن خير الله الخطيب العمري الموصلي غفر الله لهم آمين آمين سنـة ١٢١٨».

فيظهر من ذلك ان النسخة الموجودة بيدنا كُتبت في السنة التي أَلّف فيها الكاتب سفرهُ. ومن هذا الكتاب نسخة في لندن وهي النسخة الوحيدة المعروفة في اوربا. وليست غايتنا ان نصف الكتاب نفسهُ بل ان نذكر ما جاء في الصفحة الاخيرة منهُ وفيها فائدة عميمة وهي الخاتمة التي كتب انشدها من عدّة سنوات بخصوص معاهد بغداد العامّة عند سقوطها الاول. وها اناذا انقلها بحرفها حفظاً لما من التلف والبوار واطلاعاً للقرّاء على ما كانت عليه بغداد في سابق مجدها وسامق عزّها:

« في بيان جوامع ومساجد وخانقاهات ومدارس ودور حديث وقيسريّات(١ وفنادق وخانات وحمامات ومدارات (هي المطاحن) وبزّارات (هي معاصر الشيرج) ومزمّلات ماء السيل وكنائس اليهود وبيع النصارى وحوانيت وسراديب وبساتين ومقاثن ورووس الرجال النصارى الذين يؤدّون الجزية ورووس الرجال اليهود والذين هم ايضاً يودون الجزية والقرى التي هي في شرقي نهر دجلة . والتي هي في غربيّ دجلة في زمن ملوكها الاتابكيّة وآخرهم لؤلؤ الملك الحكيم الى ان أخربها كفرة التتار عند مجيء المذكور هلاكو خان غابد النيران وقتل المستعصم بالله الخليفة العباسي وذرّيّتهُ وقتل عامّة سكان مدينة السلام الغربية العظيمة وذلك في عام ٦٦٠ من الهجرة (= ١٢٦١ و١٢٦٢ م)

جوامع خطبة ٣٦ مساجد ٤٠٠٠ خانقاهات ٦٧ مدارس ٣٨ دور الحديث ١٨ قيساريّات ١٢٠ اسواق ٣٦ خانات ٩٨٠ حمّامات ٢١٠ مدارات ٦٢٠٠ بزّارات ١٢٠ معاصر للزيت ٩٩ مزمّلات سيل ١٠٢٥ رحوات الماء ٦٨ الدواليب التي يديرها الماء ١٦ بيع النصارى ٥٦ كنائس اليهود ١٦ حوانيت ٨٥١٥ الحوانيت التي يُباع فيها الطريات ١١ قناطر ١٠٦٠ السراديب ١٠٦٠ البساتين في داخل المدينة ٣٦ البساتين في خارج المدينة ٩٥ ابواب المدينة ٩ الجسور ٣ القرى الموجودة في الجانب الشرقي من نهر دجلة ٢٣٠٠٠ القرى الموجودة في الجانب الغربيّ من دجلة ٢٣٠٠ انوال الحياكة التي ينسج فيها الخام والديباج والحرير وغيرها ٧٥٠٠ السفائن ٢٥٠ رجال النصارى الذين يودون الجزية ٦٣٠٠٠ رجال اليهود الذين يودون الجزية ٣٦٠٠٠ اه بحروفه

ولسوء الحظ ان الكاتب لم يذكر اسم الكتاب الذي ورد منهُ ولا اسماء الكُتّاب الذين اخذ عنهم هذه الفوائد الجليلة على اننا نظن ان لا مغالاة في هذه الارقام ولعلّ فيها قصوراً يسيراً اذ يذكر مدارسها ٣٨ والبساتين في خارج المدينة ٩٥ فقط والسفائن ٢٥٠ لا غير فلا جرم ان في هذه الاعداد غلطاً . والله اعلم

---

١) القيسريّة بالسين والعامة تقولهُ بالصاد جرياً على هذه القاعدة المشهورة « اذا اجتمعت السين والقاف . او السين والطاء . او السين والخين . او السين والضاد . او السين والغين . او السين والحاء فانت الخيار بها ان شئت سينتها وان شئت صوّدتها . هذا من جهة اللفظة واما من جهة المعنى فالقيسرية نوع من الخان يكون مسقوفاً في اغلب الاحايين وفيهِ دكاكين للباعة والتجار وربما كان فيهِ حجر فوق الدكاكين او في جانب منهِ يسكنها اصحاب الدكاكين او الباعة او التجار . الّا ان وجود الحجر في القيسريات قليلٌ . وهذا هو وجه الفرق بين الخان والقيسرية . ويقال فيها قيسرية وتجمع على قياسير وقيساريّات وقد وردت في كتب المؤلفين من ذلك في كتاب المقدسي ص ٧٦ س ١٥ في كلامهِ عن يمنّى قال : بها آبار وبصانع وقياسير وحوانيت حسنة البناء . وذكر العبارة ياقوت فقال بدلاً من قياسير : خانات . وقال ياقوت (في ١ : ١٨٦ س ٢٢) عند كلامهِ عن اربل : « قام بعمارتها (اي بعمارة المدينة الجديدة) وبناء سورها وعمارة اسواقها وقياساتها الامير مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كوجك »

﴿ المعادن في الترنسفال ﴾ نُشرت لائحة المعادن في بلاد الترنسفال للسنة المنصرمة مباشرةً بازل تزيد بن السنة ١٩٠٦ الى مثلهِ في ١٩٠٧ فكانت نتيجتها انَّ المناجم المعدنية كلها في ترقٍّ ونموّ. فانَّ محصول مناجم الذهب بلغ في السنة المذكورة ٦٦,٠٠٠,٠٠٠ فرنك بزيادة ١٠٨,٠٠٠,٠٠٠ على العام السابق. وكذلك مناجم الالماس زاد محصولها على الضعف فانها في السنة ١٩٠٥ — ١٩٠٦ أدّت لأصحابها من الحجارة الكريمة ما يساوي ٢٤,٠٠٠,٠٠٠ ف فكان في العام المقبل ثمن تلك الحجارة ٥٥,٠٠٠,٠٠٠ اما الفضّة فانها قد استُخرج من مناجمها ما تساوي قيمتهُ ٢,٣٠٠,٠٠٠ بزيادة ٦٠٠,٠٠٠ فرنك على العام السابق. وبلغ محصول النحاس مليونًا من الفرنكات بزيادة ٥٢٥,٠٠٠ ف وترقّى محصول القصدير من ١١٠,٠٠٠ ف الى ٧٠٠,٠٠٠ والرصاص من ٦٨,٠٠٠ الى ٥٠٠,٠٠٠

* مزامير القديس بوناونتورا * لقديس بوناونتورا (+١٢٧٤) المعروف بالمعلم الروفي رياضة تقويّة وعدّة صلوات خشوعية لاكرام مريم البتول الطاهرة منها تسابيح او مزامير مرتّبة على حروف اسم العذراء مريم تبتدئ آيات كل مزمور منها باحد حروف هذا الاسم الكريم على لفظهِ في اللاتينية « ماريا ». فاحبَّ حضرة الشمّاس الفاضل داود صابوا الكلداني الكاثوليكي ان ينظم هذه المزامير بالشعر العربي التماساً لشفاعة العذراء المجيدة. فطلب الينا ان نثبتها في صفحات المشرق. فلبّينا دعوته بطيب القلب في هذا الشهر المريمي المبارك. وقد التزم حضرة الناظم في اوّل كل بيت وروّيهِ حروف اسم مريم كما في الاصل وهو نوع من البديع العربي يُدعى بمختَّم الطرّفين او محبوك الطرّفين. وقد تجاوز حضرته في نظمهِ بعض الجوازات الشعريّة ليكون اقرب الى نصهِ الاصليّ

المزمور الاوّل (من بحر الطويل)

مدينةُ مولاها تُعظّمُ مريمُ ... وفي بيعةِ الابكار تسمو وتُكرَمُ
مراحمكِ الغرّاء شاعتْ لدى الورى ... فبارككِ اعمالًا أتيتِ المعظّمُ
مولّاتنا زيحي البلا عن بلادنا ... واشفي لنا سقمًا يسوء ويؤلمُ
ملاكًا بشيرًا ارسليهِ لقاءنا ... يقينا من الاعداء شرًّا فنسلمُ
موقيةَ كوني لنا ورحيمةَ ... لانَّ رجاء الكونِ أنتِ أمريمُ
مناانا اذكرينا واستجيبي بكاءنا ... وربّي زفراتٍ من حشانا تُقدَّمُ
ملكتِ علينا فاشفعي وتضرعي ... وتخي حجابَ الهمِّ عنا تُزنمُ

مراحمكِ العظمى نؤمُّ بضيعتا أنيري لنا قلباً بحقكِ يُفهمُ
مماليككِ الانَ ارحمي لا تي بهم اذا مسهم ضيقٌ وضرٌ يُسوءُ
ملكتِ زمامَ المجد صوني حياتنا ونحمي عبيداً من مكارهَ تُبرمُ
مصابنا تُجلي بِرافتك التي نؤمّلها سُلوانَ حزنٍ يُختمُ
من الضيق مسحوقي القلوب انشلي كذا بأزر النجا شدتي متونا تُهدَّمُ

المزمور الثاني (من بحر البسيط)

اليك ارفعُ مدحاً قد خُصصتِ بهِ فأبهجيني بصوتٍ من حماكِ أتى
انّا نُناديكِ من قلبٍ يضيقُ بنا من طوركِ الاقدس اصغي يُشفَ كلُ أسى
أقدِم أيا خاطئاً نحو البتول وتبْ ثمَّ اعتنق قدميها تلق خيرَ لسا
أقبل اليها باكرام وحسنِ رجا يا عابداً تحظَ بالانعام حيث ترى
ايتوا اليها وانتم في شدائدكم يُضيئكم نورها في ظلمةٍ ودُجى
انّا نجونا بها من غيّ طالبنا من يزأرَنْ لابتلاع النفسِ منذُ هوى
احفظ وصايا العلي يا شعبهُ أبدا واذكُر اوامرَ مولاةِ السما وكفى
افتح فؤادك وافحصهُ بجملتهِ وارفع عقيرة حمدٍ واعترف بغنى
انم اتّقد يا هوى قلبي بها شغفاً بالحرّي ردّت عدواً بالهلاك سعى
ازالتِ الحزنَ من جنانِ عابدها وابهجت أنّا بلينها فنجا
أسجد لمن بكمال الحسن أبدعها وعظّمنْ قدرها ذاك الرفيعَ سنا
الجأ الى عونها تُنقذك مسرعةً من الوباء وطاعونٍ وشرٍ ردى

المزمور الثالث (من بحر البسيط)

رايتُ مريم في الضيقات ملجأنا وقوةً تسحقُ الاعداء والضررا
راعوا كرامتها يا عابديها تكن في عونكم تشفعْنَ فيكم لتغمرا
روحوا اليها الجأوا في وقت كربكمو فانها العتق لا تُبقي ولن تذرا
رجزَ ابنكِ من عبادكِ اصرفي ابدا وارضي بان تشفعي فيهم بما غبرا
رَي ضعفنا يا بتولا في تحننكِ وأسرعي ان تريلي الضيق والخطرا

رعيةُ ابنك فاذكري مقاصدهم وأسنديهم فهم عبيدك الفقرا
وجودك كيلا شرور الدهر تدهمهم عيني لدى الموت كي تحيا وتنتصرا
روّي صدى قلبنا من فيض لذتك العليا لننسى كروب الدهر والكدرا
روّي من تواضعنا ذلًا ولا تدّعي ان تغرقنْ في البلايا او ترى عُسرا

المزمور الرابع (من بحر البسيط)

يا مريمُ البكرُ اني أستغيث بك من اجل وفر مراحم ابنكِ في يدَيْ
يا مريم البكر نوري من صبايَ لقد خرجتُ نحوك كي لا ضعف يقوى عليّ
يا مريم البكر روحي في يديك لقد اودعتُها وحياتي ناذرًا أصغريّ
يُفاض نورٌ علينا من تحتنكِ السامي لكي نستنير اليوم في كل شيْ
يا مريم البكر أمّ الله فيك غدا خلاصنا فاشفعي فينا فلم تلقَ غيْ
يا مريمُ البكر مضمونَ الصلوة الى ناديكِ ترفعُ فارتضي بنا لا تنيْ
يا مريم الفوزُ والافراحُ أنتِ لنا وسرمدًا نجدنا ينجو بك كلُّ حي

المزمور الخامس (من بحر الطويل)

الى مريم انّا صرخنا بضيقنا فكم لبّتِ الداعي برفقٍ متى جاء
اليها رفعنا النفسَ عند القضا ترى بطلباتها لم تخزَ او تلقَ ضرّاء
أمني التي فيها تخلّص آدمٌ عليك سلامُ الله ما كوكبٌ ضاء
الى العرش رقّاها بلحن ملاتكٍ نوكلّفها وردًا زنابقَ غرّاء
ألا يا أرحضي مولاتنا كلَّ اثمنا واشفي لنا سقمًا وداويَ أدواء
ألا فرّحي اذهمَ اصرفي كل شدّةٍ ولاشي لنا الاوجاع منها لقد ساء
أما بكِ عنّا يُصرفنْ رجزُ ربنا فأرضيهِ بالطلبات عنا كما شاء
ألا يا افتحي ابواب برٍ أمامنا فنخبرَ بالايات سرًّا وانباء
ألا أقدمي نحو ابنكِ واشفعي بنا لننجوَ من سوء ونحظى بسرّاء
أما عوّدنا فيها وفي قوّة اسمها بها كلُّ أمرٍ يستقيم وما فاء
ألا يا انقذي خدّامك من بلابلٍ فيحيوا بأمنٍ فيك اذ لن يروا داء
ألا نحوك كلُّ القبائلَ تسجدنْ ومنهمُ اجواقُ الملاتكِ اسواء